# التغييرات الحديثة فى أنظمة التعليم ومناهجه

## استفتاء عام لكل المشتغلين بمسائل التعليم

---

١ — رد فعل عنيف لجمود طويل

قامت فى وزارة المعارف فى عهد وزيرها الحالى على ماهر باشا حركة واسعة النطاق تناولت بالتغيير والتبديل كل أنظمة التعليم ومناهجه فلا نجد ناحية من نواحى التفكير ولا بابا من أبواب العمل فيها إلا لحقته موجات تلك الحركة ومسته اهتزازاتها بعنف أو برفق وكأنما قدر لوزارة المعارف أن تظل السنين الطوال ساكنة جامدة تدافع كل تغيير وتناهض كل تعديل حتى إذا تحركت اندفعت فى لهفة المحموم الى التغيير وتامست الوسائل للخروج على القديم وارتمت فى أحضان كل جديد

٢ — سكوت الصحيفة عن الموضوع

ولقد أمسكنا القلم عن التعرض لهذه الحركة الى الآن حتى ندع لها الزمن الكافى لاستقرارها واتضاح طبيعتها وظهور أثرها بالفعل ليكون الحكم لها أو عليها بعد ذلك قائما على النتائج المحسوسة لا على مجرد النظر والظن وتحامينا أن نتطير مع المتطيرين الذين رأوا من أول الأمر أن التغيير شر كله وأشفقوا على البلاد منه قبل أن يتفهموا مراميه ويشهدوا نتائجه وقلنا تلك نزعة معروفة يتلقى بها أكثر الناس كل تغيير نفوراً من الجديد وحرصاً على القديم المألوف والزمن وحده كفيل بتعديلها متى كان

التغيير أنفع وأصلح للبقاء

٣ — نحن من أنصار التغيير

بل الحق أننا فى أعماق نفوسنا رحبنا بالتغيير . رحبنا به أولا لأنه من أمارات النشاط والحياة وشر ماجنى علينا الجمود والموت . ورحبنا به لأن ما كنا عليه فى امور التعليم بغيض كريه ليس بالذى يحرص عليه محب لبلاده ولا بالذى يجذب اليه حتى أشد المنغمسين فيه . هو أثر من آثار المحتل الذى مد يده منذ دخل بلادنا الى كل شؤوننا العامة فأفسدها وغير معالمها ووجهها نحو غاية معينة كلها خير له وشر لنا وهى أن نظل فى جهالة وضعف محجوبين عن نور العرفان مجردين من كل أسباب القوة لنبقى أبد الدهر عبيده الأرقاء وفريسته العمياء . فليس ثمت ماير بطنا به إلا تلك الذكرى المؤلمة . ولقد كانت صيحتنا العامة منذ أن استيقظ فينا الاحساس القومى اننا نريد تعليما حراً يقصد الى اسعادنا واسعاد بلادنا لا الى جعلنا شعباً من العاطلين الغاصبين الذين إذا سدت فى وجوههم أبواب الوظائف لم يصلحوا لشىء

٤ — لا نحب التغيير لمجرد التغيير

على اننا نسارع فنقرر أننا مع كرهنا الشديد لأساليب التعليم التى وضعت لنا لا يمكن أن نرضى تغييراً فيها الا أن يكون الى الأحسن والا أن يحقق الغاية التى نطمح اليها وهى ترقيتنا أفرادا وشعبا والا كنا كرجل احاطت به النار فلاحت له هوة سحيقة فالتمس الخلاص من النار بالقاء نفسه فى الهوة . كلا . اننا لا نحب التغيير لذات التغيير

٥ — ما أخذ على حركة المعارف

ولذلك تمنينا أن تسلم تلك الحركة التى قامت بها المعارف من كل أسباب الضعف وأن تكون كل خطواتها مسددة وأن تسير فى ثبات نحو الغاية السامية التى يرمى اليها كل نظام قومى للتعليم فى بلاد تتولى أمورها حكومة أبوية تريد الخير والتقدم لأمتها

على أن الكثيرين من ذوى الرأى والخبرة أخذوا عليها أموراً نود أن يرى رجال التعليم الآن رأيهم فيها بعد اذ لبثوا زمنا يشهدون النتائج العملية لهذا التغيير ويحسون نقط الضعف فيه وما فيه من حسنات فهم الآن الى حد ما فى منزلة تسمح لهم بالحكم الصادق على كل شىء فيه

ولا ندعى حصر كل ما قاله القائلون وهمس به الهامسون فيه ولا نقصد من ايراده الا أن نحتكم فيه الى المشاهدات الدقيقة التى عرفها عن قرب رجال التعليم العمليون

٦ — سرعة الوزارة فى اعداد الأنظمة والمناهج

أخذوا على الوزارة أنها كانت سريعة فى اعداد مشروعاتها وتهيئتها للتنفيذ سرعة زائدة لا يؤمن معها الزلل بل يرجح كثيراً أنها لا يتأتى معها الوصول الى نتائج ناضجة ومشروعات حكيمة : وقالوا أنها غيرت فى شهور قلائل مناهج الدراسة فى كل أدوار التعليم وغيرت أنظمة الامتحان وأعدت مشروع التعليم ومشروع الجامعة ومدت يدها الى كل تفاصيل الحياة الدراسية فى البلاد فقبلت نظامها . ولم تسبق أكثر تلك التغييرات دراسة هادئة واعداد أرقام واحصاءات ورجوع الى تقارير ومشاهدات عملية أريد بها

معرفة عيوب البرامج والانظمة . بل اذا فرض أن كل تلك المشاهدات كانت تملأ رؤوس رجالها وان لم يعلنوها فان أقل ما يدفع به ذلك أنها غير مرتبة ولادقيقة وان ابرازها فى الصورة العملية يتطلب أكثر من ذلك الزمن

وقد يكون لدى الوزارة بعض العذر فى أن الحكومات فى الأيام الأخيرة سريعة التغير وأن كل وزارة تجئ تنقض مافعلته أختها فلا سبيل لاحداث تغيير محسوس الا بالعمل السريع

ولقد كان المرحوم عاطف بركات باشا وكيل المعارف السابق قد أعد طائفة من المشروعات لقلب أنظمة التعليم وكان يجمع فى صبر وكد كل المعلومات الأساسية لنجاح تلك المشروعات حتى تخرج ناضجة وافية بحاجة البلاد متينة لا تزعزعها العواصف وتهزها الاضطرابات ولكن القضاء عاجله وعاجل بعده الوزارة التى كان يعمل فيها فطويت تلك المشروعات واختفت آثارها وذهب هباء جهد هذا العامل وكده المضنى الذى ضحى بحياته من أجله . فلا تلام الوزارة الحاضرة اذن اذا هى استخدمت كل قواها وعمدت الى السرعة فى اخراج مشروعاتها لحيز الوجود

على أن الوزارة خليقة أن تذكر أن الأمر هو أمر تعليم أبناء الشعب وان كل خطأ فيه كبير الاثر فى مستقبل البلاد كانت تستطيع خدمة البلاد خدمة أفضل لو أنها وجهت جهودها كلها فى ناحية واحدة منه حتى اذا أحدثت فيها تغييراً صالحاً نافعاً سديداً كان مثالا حسنا للنواحى الأخرى تقوم به هى اذا مد فى عمرها أو يتولاها سواها اذا خلفها وشهد بعينيه فضله. أما ان تغير كل الأنظمة والمناهج وتمد أصبعها الى كل تفاصيلها فى بضع

شهور فهو مجازفة جريئة قد تخفق وقد تصيب وليس يصح المقامرة بحياة الشعوب ومصالحهم

٧ — المناهج غير متماسكة ولا متحدة الروح

ولقد كانت من نتائج تلك السرعة فى اعداد المناهج أن جزئت أبوابها وعهد فى كل باب الى فريق معين من رجال التعليم ويلوح أن الاتصال بين تلك اللجان كان ضعيفاً أو أنه لم يكن هناك اتصال البته فان المنهج الواحد يختلف روحه فى كل مادة ويختلف وجهات نظر واضع البرنامج فى المبدأ والغاية

ففى منهج المدارس الابتدائية مثلا يلاحظ أن منهج الجغرافية يسير مع احدث اتجاهات التربية بينما يغرق منهج الحساب فى الرجعية وينحط الى ما دون المنهج القديم ويصل الى حد ادخال الكسور العشرية الدائرة وأمثالها فى المنهج

وبينما يفرض واضع منهج اللغة العربية أن الطفل الذى يتسلمه بادىء لا يعرف شيئا من الهجاء اذا بواضع منهج الحساب يشترط عليه أن يعرف الجمع والطرح لغاية عشرة آلاف (كذا)

وكذلك الشأن فى مناهج التعليم الثانوى ومدارس المعلمين تجدها مفككة لا يربطها وحدة فى الغرض ولا وحدة فى الروح وانما هى تتف تشبه أن تكون فهارس كتب نقلت نقلا ووضعت فى تلك المناهج

٨ — ازدحام المناهج بالمواد وازدحام المواد بالموضوعات

ولاحظ الملاحظون أن واضعى المناهج كانوا أقرب فى نظرهم عند

وضعها الى غير الفنيين منهم الى رجال فنيين بصروا بالتربية ومذاهبها وتاريخها فان الجمهور تواق الى تعدد أسماء المواد التى تدرس يعلق عليها أهمية كبرى فيحسب أن ادخال علم الأخلاق يجعل الطالب حسن الأخلاق وادخال علم التربية الوطنية يزيده تمسكا بالوطنية وامثال ذلك . ولقد بحث واضعوا برامجنا عن أسماء العلوم فلم يدعوا اسما الا ادخلوه فى المناهج وشحنوا كل منهج منها بما استطاعوا أن يجمعوه من العناوين

وهل لنا أن نهمس فى أذن واضعى تلك المناهج بان العبرة فى التعليم ليست بالبرامج المكتوبة . بل بالمنهج غير المكتوب الذى تنتهجه المدرسة وأساتذتها وأنه كلما أحسن اختيار الأساتذة وهيئت الأسباب المساعدة للمدرسة أمكن تربية الطالب تربية صحيحة سليمة أما شحن المنهج بالمقررات فمن شأنه أن يحد تصرف الأستاذ والمدرسة ويضيق دائرة عملهم ويربك رأس التلميذ ولا يدع له وقتاً للتنفس الدراسى ( كما يقولون )

اما أن يراد حقاً تدريس كل تلك المواد وموضوعاتها والتلميذ ووقته لا يحتملان ذلك . واما أن يراد اقناع الجمهور الخارجى بان هذا التغيير ألم بكل شىء وأحصاه وتلك من أساليب الدعوة ( البروباجندة ) التى لا يصح أن تتنزل اليها سياسة التعليم

على أن الحكم بيننا هو الاساتذة فقولوا أيها المدرسون بصراحة ماذا درستم من تلك المناهج وماذا استفاد التلاميذ مما درستم

٩ — تغيير الدراسة فى كل الفرق دفعة واحدة

كذلك رأى الناس فى اصرار الوزارة على تنفيذ البرنامج فى فرق

الدراسة كلها دفعة واحدة خروجا عن ناموس التدرج فى الأصلاح . وبعثرة للجهود والأوقات والأموال فان أكثر التلاميذ ظلوا هذا العام يعيدون مما درسوه فى الأعوام الفائتة فى كثير من المواد أى خسروا سنة من أعمارهم وقسطا من أموال آبائهم وقالوا ان التغيير لم يعد أن يكون تجربة من التجارب وكانت الحكمة تقضى ألا تجرى تلك التجربة الا على أقل عدد مستطاع حتى لا يكون خطرها عاما شاملا اذا ثبت فساد شىء فيها

وقالوا أن الوزارة خالفت المألوف فى مثل تلك الأحوال وهو الا يؤخذ بالنظام الجديد الا الحديثو الالتحاق بالمدارس أما الأقدمون فكان حقاً أن يتركوا حتى يتموا دراستهم على ما دخلوا عليه فلا يضطرب سيرهم ويختل نظام عملهم

ولعل الوزارة قد اقتنعت كل الاقتناع بفضل تلك المشروعات الفطيرة فلم تشأ أن يفوت الكل نفعها ولو أدى ذلك لتحويل كل مجرى وتغيير كل نظام فى السير . ولكل وجهته والنتائج الفعلية هى الحكم فليصرح بها رجال التعليم

١٠ — مد سنوات الدراسة

وكان من ظواهر التغيير الجديد أن زيدت سنى الدراسة فى كل أدوار التعليم . وقد لاحظ كثيرون أن ذلك أيضاً كان عملا لا موجب له وهو غلو فى تقدير قيمة التربية المدرسية وينطوى تحته اغفال لحالة البلد الاقتصادية وللفائدة الكبرى التى تجنيها من سرعة تخريج أبناء الأمة واسلامهم للحياة العملية التى هى المربى الأكبر لهم

١١ — أنظمة الامتحانات

وأخذوا على الوزارة اضطرابها فى أمر الامتحانات العامة وأنظمتها وكثرة منشوراتها المتضاربة وقراراتها المتناقضة بشأنها وقالوا لقد كانت الوزارة الحاضرة تعيب على الوزارات السابقة عمل الملاحق للامتحانات ذاكرة أن ذلك كان من شأنه الهبوط بمستوى طلبة المدارس ولكنها عملت فى هذا السبيل ما هو شر من ذلك وأكبر أثراً فنقلت تلاميذ من فرق لأخرى بقواعد قائمة على أشد ضروب التسامح وحظرت الدخول فى الامتحانات العامة الا على فريق يستوفى شروطاً معينة « مخالفة بذلك مراسيم الشهادات » ثم عادت فحالت لآخرين ماحرمته عليهم وذهب بعضهم الى وصف تلك الحالة بالفوضى

على أننا نلتمس للوزارة العذر فقد تورطت فى التغيير وكان لا بد لها من أن تحتمل كل نتائجه وتلك الاضطرابات فى منشوراتها ليست إلا صدى للأخطاء التى جرتها السرعة فى اعداد مشروعاتها والتى كانت تتقيها كلما تبدت لها بمنشورات جديدة وان خالفت ماسبقها من التعليمات

١٢ — اختيار الوزارة لموظفيها

ولا مواخذ على الوزارة اختيارها لموظفيها الذين يقومون بالأعمال الجديدة وقالوا ان ذلك الاختيار فى كثير من الأحوال كان بعيداً عن الحكمة ظاهر الخطأ فالمكتب الفنى مثلا مؤلف من عدد من أساتذة التاريخ والجغرافية وواحد من غير رجال التعليم

فهو بهذا تنقصه عناصر كثيرة ضرورية لخروج مشروعات الوزارة

متعادلة مدروسة من كل وجهاتها ولكن لاشك أن عدم وجود عنصر علمى حديث فيه نقطة ضعف ظاهرة

ومن الملاحظات المحسوسة أن الوزارة تظهر ثقة تامة بكل ماهو أجنبى وشكا عاماً فى كل ماهو وطنى فقد اختارت لكثير من مراكزها الجديدة موظفين أجانب ثبت بالفعل تفاهة شأن كثير منهم كما أنحت كثيراً من أكفاء المصريين اللذين كانت تستطيع الانتفاع الكبير بهم

## ١٣ — النزعة الارستقراطية فى التعليم

وكان من أشد ما أثار النقد فى التغييرات الحديثة اهتمام الوزارة اهتماما خاصاً بايجاد مدارس ارستقراطية لأبناء الطبقة العالية ورأى الكثيرون أنه ينطوى تحت تلك النزعة جهل كبير بوظيفة الحكومة فى التعليم وقصر نظر بما ينتجه مثل ذلك النظام . فقالوا أن وظيفة الحكومة فى التعليم انما هى خدمة الشعب لا رفيه طبقة خاصة تستطيع وحدها بمواردها الذاتية أن تقوم لنفسها بما تشاء ومن التناقض مع الديمقراطيه التى تصطبغ بها البلاد فى عهدها الحديث أن يفرق بين أبنائها فى التعليم على أساس واحد ضعيف وهو المقدرة على دفع المصروفات . أن الاتجاه فى كل ممالك العالم يسير نحو توحيد المدارس وجعلها عامة لابناء الشعب لتكون عامل وحدة لا عامل تفرقة لهم وليست المدارس الارستقراطية الباقية فى احدى الممالك الأوربية الآن الا بقية من بقايا العصور الوسطى اطرحتها الأمم التى تحررت من قيود الرجعية كأمريكا وسواها

١٤ — الرحلات العلمية

وقالوا أن الوزارة عمدت الى كثير من وسائل التربية الحديثة النافعة فأدخلتها ولكن بصورة تجعلها ضعيفة القيمة قليلة الفائدة . فالرحلات العلمية التي أساسها أن يتصل الطلبة بما حولهم من الظواهر والمناظر ويرقبوها عمليا أصبحت حركة تجنيد تعبأ لها فرق التلاميذ وتضطرب لها السكك الحديدية وتقوم عليها الوصاية والرقابة من كل ناحية . فالفرصة فى الاستفادة الحرة وفى ممارسة الحياة الاستقلالية ضعيفة وشكا بعضهم من أنها أفسدت النظام الاساسى للدراسة ومكنت للعابثين من التلاميذ فكانت نتيجتها مقلوبة

١٥ —

تلك بعض الملاحظات التى يرددها الكثيرون نذكرها على سبيل التحدث وندعو رجال التعليم جميعاً الى أن يقولوا فيها وفى سواها من عناصر التغيير الحديث رأيهم الصريح والله الموفق الى سواء السبيل

قلم التحرير